

لتجاوز المسافة التي تفصل بين الدال والمدلول بشكل جزئي (سواء أكان الإله : المدلول المتجاوز، أم الإنسان : المدلول المركب الذي يحوي داخله قسماً إلهياً، والذي يتجاوز واحدية الطبيعة/المادة)، فالمجاز والتجاوز صنوان . والمجاز يؤكد الصلة بين الأشياء، ولكنه في تأكيده الصلة يؤكد المسافة بينها، فهو يؤكد وجود عنصرين (لاعنصر واحد) مستقلين متشابهين غير ملتحمين عضوياً، لا يفقد الواحد نفسه في الآخر ليظهر كلُّ عضوٍ جديد . ومن ثمَّ فالمجاز يصدر عن الإيمان بثنائية العالم، فهو صدى للثنائية التكاملية الأولى : ثنائية الخالق والمخلوق . فالمخلوق متميِّز عن الخالق، ولكن، لأنه يؤمن بالإله الواحد المتجاوز، فإنه لا يفقد الأمل في التواصل معه عز وجل . وهو - أي المجاز - أيضاً تعبير عن إمكانية التواصل بين البشر، بكل ما يحملون من أعباء وأفراح وأحزان . فالمجاز يضيق المسافة الإدراكية التي تفصل بين الخالق والمخلوق، كما يضيق المسافة الإدراكية والعاطفية التي تفصل بين الإنسان وأخيه الإنسان .

وبوسع اللغة، من خلال المجاز، أن تشير إلى الوجود الإلهي المتجاوز، وإلى الوجود الإنساني المركَّب الذي لا يُردُّ إلى عالم المادة . فإذا كانت العلاقة - في النظم التوحيدية - بين الإله والإنسان، والعلاقة بين الإنسان والإنسان، والعلاقة بين الإنسان والطبيعة هي علاقات الاتصال والانفصال، فإن المجاز هو ذاته تعبير عن موقف مزدوج من اللغة : الدال منفصل عن المدلول، ولكنه رغم انفصاله متصل به، وبالتالي له معنى .

ووجود المجاز يعني أن النص المقدَّس (رسالة الإله للإنسان) نصُّ توليدي مركَّب، متعدد المعاني والمستويات، بعضها ظاهر وبعضها كامن، ولكنها في كليتها وتفاعلهما تولد المعنى الذي يمكن الوصول إليه من خلال الاجتهاد (لا من خلال العرفان أو التفسير الحرفي كما سنبين فيما بعد) . ويدرك عقل المجتهد الطبيعة المجازية للنص (فهو ليس صيغة سحرية، ولا تجسُّداً إلهياً)، ويحاول من خلال عملية تفسير مركَّبة الوصول إلى معناه المركب الظاهر والكامن . ولكن، كما أن